صفحة من القطع المتوسط، بينما صدر المجلّد التاسع (١٩٧٩)، في ١٩٩ صفحة، بعد وفاته.

الدافع إلى دراسة أعمال عجنون الأدبية

ولا بد لي أن أؤكّد هنا، ان منح عجنون جائزة نوبل، والرغبة في اطلاع القارىء على أدب يمثّل إلى حد ما، الأدب اليهودي الصهيوني باللغة العبرية، كانا وراء اهتمامي بدراسة أعماله الأدبية، ذلك أن ندرة الترجمات، التي تنقل إلينا نماذج من هذا الأدب، تجعل الإطّلاع عليه محدوداً. ولا نعني بذلك أن المسؤولية تقع على عاتق الباحثين على وجه التحديد، فالأمر مرهون ــ وهذا أمر طبيعي ــ بمستوى الأدب اليهودي الصهيوني، المكتوب باللغة العبرية، بين الآداب العالمية، وهذا شرط أساسي لانتقال أي أدب إلى آداب الشعوب على اختلافها. وإذا نظرنا إلى عجنون نفسه، وجدنا أن هذا الأدب، بطبيعته الأدبية الخاصة ورمزيته واعتماده شبه الكلي على نصوص توراتية قديمة، يساهم بدوره في عدم انتقال أعماله إلى لغات العالم.

مناحي عجنون الأدبية

يمكن القول: إن عجنون ينحو في كتاباته منحيين بينهما بون شاسع: فمن ناحية هناك الأسلوب المستمد من المدراش (تفسير نصوص العهد القديم)، وهو يمثّل القصة الأخلاقية التقليدية التي تُروى بالطريقة التقوية، وتعود خلفيتها عموماً إلى المدينة اليهودية، وتدور بنيتها حول رجل كامل الإيمان يتغلّب على جميع الصعاب في عالم قاس. ومن ناحية أخرى، هناك المنحى الدنيوي الذي يتمثّل في استخدام أكثر الأساليب النثرية معاصرة، لتقدّم لنا صورة سيكولوجية ضمن حبكة معاصرة معقّدة. غير أن كلا المنحيين يُبرِز الآخر، وقد يصل الأمر إلى حد أن يسخر أحدهما من الآخر. فالعالم الحديث غير بعيد عن ذلك العالم المثالي الذي يراه عجنون، إلا أن هناك حلقة مفقودة في الوسط يتعذّر العثور عليها. ومحاولة العودة إلى القيم القديمة ووضعُها في قالب معاصر، تقود القارىء إلى تأويلات كثيرة لأعمال عجنون، علاوة على أنه مشهور بغموضه[١].

وليس هناك خلاف، تقريباً، على مسألة ان إنتاج عجنون الأدبي على اتصال دائم بالتاريخ، إذا كان هذا التاريخ يعني أحداثاً ذات أهمية خاصة ومصيرية لمجموعة من الناس. ويرى بعض النقّاد أن روايات عجنون الطويلة تنطبق عليها تلك القاعدة، التي صاغها نور توربر بري، والتي تقول: إنه كلما اتسعت الرواية، مالت بالتالي إلى أن تضم، في سياقها، أُسساً تاريخية.

آراء النقّاد في كتابات عجنون

تتفاوت آراء النقاد حول مغزى الاساس الديني في كتابات عجنون، وهل يمكن اعتباره كاتباً دينياً في ضوء تصويره للإيمان البريء لشخصيات رواياته البسطاء، وتشديده على المنحى الديني والدعوة إلى التمسك بالمناسك والفروض الدينية؟